الفصل السابع

افتراءات المستشرقين على عقيدة الإيمان
باليوم الآخر والرد عليها

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السابع

افتراءات المستشرقين
على عقيدة الإيمان باليوم الآخر والرد عليها

من قبل أشرت إلى أن عقيدة الإيمان باليوم الآخر وما فيه تعد ركنا أساسياً من أركان الإيمان وأصلاً من أصول العقيدة في الإسلام ؛ لذا اهتم المسلمون بتتبع الحديث عنها في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وأيقنوا أن الحديث عن الجنة والنار والنعيم والعذاب والصراط والميزان والحساب أمام الرحمن كل ذلك أوحى به إلى رسولنا الكريم عليه من الله أتم صلاة وأفضل تسليم، وأن من صدق بذلك فهو ممن يؤمنون بالغيب، وإيمانه لا شائبة عليه ومن كذب فهو من الظالمين والمحرومين من رحمة الرحمن يوم الدين، وعلى هذا المعتقد ظلوا سائرين وما زالوا وسيظلون به مصدقين إلى يوم الوقت المعلوم.

إلا أن جمعاً من المستشرقين أرادوا ـ كما هي عادتهم ـ زلزلة هذا الاعتقاد في قلوب المؤمنين، ونشر أقوال فيها اتهام لإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين النبي محمد الأمين بأنه كان لهذا المعتقد وما يتعلق به من السارقين أو المقتبسين من أين؟ من كتب الأولين يهوداً كانوا أو نصارى أو غيرهم، ولم يكن الحديث عنه في الإسلام من وجهة نظرهم بوحي من الله رب العالمين، بل اختلق محمد ﷺ ذلك اختلاقاً ورغّب ورهّب ليقبل الناس على دينه ويظنوا أنه من الصادقين، ادعى ذلك أساطينهم وأكابر شياطينهم ومن هؤلاء:

١- **(هنري ماسيه) الذي يزعم ويقول:** إن الإسلام أخذ بعضاً من تعاليمه المتعلقة باليوم الآخر من مصادر خارجية فمفهوم عذاب القبر أخذه من النصرانية، وأخذ اسم الفردوس من الفارسية. أما الجنة وأنهارها المذكورة في القرآن الكريم فهي (تذكارات) لأنهار الجنة في اليهودية أو المسيحية.[١].

٢- **ويوافق على هذا الافتراء (كرادي فو) Canadevaux** ويقول في دائرة المعارف الإسلامية: «إن الرسول ﷺ استعار كلمة جهنم من اللفظ العبري (جيهنوم) والذي كان وآدياً بالقرب من بيت المقدس تقدم فيه القرابين»[٢].

٣- **أما (جولد تسيهر)** فلم يخالف ما ذهب إليه صاحباه بل يقول: إن ما كان يبشر به محمد ﷺ خالصاً بالدار الآخرة ليس إلا مجموعة مواد استقاها بصراحة من الخارج يقيناً وأقام عليها هذا التبشير[٣].

ولم يكتف بهذا الادعاء بل يزعم في موضع آخر أن مفهوم الدار الآخرة في الإسلام قد تبلور بسبب رواج القصص والأساطير.[٤]

٤- **أما المستشرق (نيكولسن)** فيزيد على ما ادعاه هؤلاء بقوله: إن الدين الإسلامي قد أفرط في التصوير الحسي للجنة والنار مما أدى إلى إغواء المستمعين[٥].

٥- **ونفس القول تردد في دائرة المعارف الإسلامية** حيث يقول كُتابها «إن فكرة محمد عن الجنة مادية حسية» ويرجعون ذلك إلى أن يكون النبي ﷺ قد أخذ ذلك عن معلمين مجهولين قد رأوا بعض التصاوير أو بعض الفسيسفاء المسيحية التي تصور حدائق الفردوس[٦].

---

(١) كتاب الإسلام ص١٤٤، ١٤٧، ١٤٨ نقلاً عن كتاب دراسات إستشراقية ص١٦١

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ج١٣ ص٤.

(٣) العقيدة والشريعة، ص١٥.

(٤) العقيدة والشريعة، ص١١٠.

(٥) المستشرق نيكولسن ومفترياته، ص٢٦٥.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية، ج١٢ ص٢١٦-٢١٧.

تلك هي بعض الأقوال التي ذكرها عدد من المستشرقين عن عقيدتنا في اليوم الآخر وما فيه، وهي كما نرى تركز تركيزاً تاماً على أن هذه العقيدة مستقاة من مصادر خارجية خاصة اليهودية والنصرانية وغيرهما، ولم يخبر بها الوحي السماوي، كما أن هذه العقيدة لم يبقيها الإسلام كما هي آمنة مطمئنة بل أدخل عليها كما ادعى (جولد تسيهر) بعض القصص الخرافية والأساطير، بالإضافة إلى أن الإسلام قد أفرط في التصور الحسي للجنة والنار من أجل إغواء الخلائق لقبول الإسلام على حد تعبير (نيكولسون) وكُتاب دائرة المعارف.

تقويم ونقد:

وإذا جاز لنا أن نقَوِّمَ هذه الأقوال ونحلل ما فيها ونضعها في ميزان الموضوعية التي يجب أن يلتزم بها كتاب البحوث عامة والدينية خاصة فإنه يتبين أمامنا ما يلي: -

١ - **إن الزعم الاستشراقي القائل بأن الإسلام اقتبس تعاليمه الخاصة باليوم الآخر من مصادر خارجية** زعم لم يصاحبه أي دليل يقويه أو برهان يحميه، بل هو بمثابة إطلاقات وتعميمات مجردة عن البرهان، ومن أراد الالتزام بالموضوعية وصبغ ما يقوله بالصبغة العلمية عليه أن يأتي بمستند معتبر في أي ركن من أركان الدنيا ليؤكد لنا حقاً أن النبي ﷺ بالفعل قد أخذ تعاليمه هذه من مصادر أجنبية وليس عن طريق السماء.

والذي يدعو إلى الدهشة أن المستشرقين يكتبون في هذه القضية ويدَّعون أن ما يكتبونه كلام يقيني غير قابل للنقض كما رأينا (جولد تسيهر) الذي يصرخ ويقول: «يقينا قد استقى محمد أفكاره من الخارج» ولا أدري من أين أتاه هذا اليقين وما الوسيلة التي جعلته يصل إلى ذلك ولماذا لم يذكرها؟!

ثم كيف ينقل محمد ﷺ عن فكر أو دين خارجي وهو -كما أثبتنا من قبل- أمي لم يمسك بقلم ولم يتصفح كتاباً، هل ذلك كله لإغواء المستمعين كما يقول صديقه نيكولسون؟

وكيف يكون ذلك كذلك وهو الذي تلا على الناس قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[1] فمن اقتنع بما جاء به بدون إكراه فمرحباً به في الإسلام وإلا فهو حر التفكير حر الاتباع، وعلى ذلك فيقيناً بل حق اليقين أن (جولد تسيهر) وغيره من الكاذبين، وإلا فأين الدليل الذي يثبت أن محمداً ﷺ قد أخذ التعاليم الأخروية من مصادر أجنبية يهودية كانت أو نصرانية، وهل حقاً عند اليهود والنصارى من هذه التعاليم الأخروية ما وجد في الإسلام، إن هذا يدعونا أن نتعرف على ما في الديانتين عن الآخرة وما فيها.

٢- فماذا عن اليوم الآخر وتعاليمه عند اليهود؟

معلوم أن اليهودية ديانة أتى بها نبي الله موسى عليه السلام، وما جاء به موسى وما جاء به محمد ﷺ ليخرج من مشكاة واحدة -كما هو معتقدنا- ويقيناً عندنا أن الله تعالى أوحى لموسى بالتوراة وفصل له فيها كل شيء، ومن ضمن ذلك اليوم الآخر وما يقع فيه من نعيم في الجنة أو عذاب في النار، والذي يذهب لكي يقرأ التوراة عند اليهود الآن مستقر في ذهنه أن هذه التوراة وبقية أسفار الأنبياء عندهم بها حديث فيّاض عن أحوال الآخرة، لكن المرء يصاب بالدهشة حينما يرى أن هذه الكتب تهتم اهتماماً عارماً بكل صغيرة وكبيرة عن الخلق والسموات والأرض وبدء الحياة، ولا تهتم البتة بنهاية الحياة والدار الآخرة.

والمستشرقون يزعمون أن ما في الإسلام من أمور أخروية نقل عن الكتب اليهودية هذه، وها هي الكتب بين أيدينا نتصفحها بدءاً من سفر التكوين ومروراً ببقية الأسفار الخمسة التكوين الخروج والعدد والتثنية واللاويين والتي يقال عنها أن موسى عليه السلام قد كتبها بيده، وانتهاء بأسفار الأنبياء الـ ٣٤ سفراً والتي بها ينتهي العهد القديم ويختم، فلا نجد إلا حديثاً مقتضباً عن الآخرة وأحوالها، بل

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

قضية البعث في الآخرة لم تذكر الأسفار الخمسة عنها شيئاً وإن كان هناك حديث عن الآخرة والبعث وما يتعلق بذلك فهو مذكور على استحياء في أسفار الأنبياء.

ترى ما السبب في ذلك، هل موسى عليه السلام نسيَ أن يكتب عن الآخرة شيئاً أم أن هناك أموراً أخرى قد طرأت على هذه الأسفار؟؟

الحق أن موسى عليه السلام بلغ كل ما أنزل إليه وفصله -كما قلت- وكانت الأمور الأخروية إحدى اهتماماته، إلا أن التحريف الذي أصاب التوراة كما شهد بذلك المعتدلون من اليهود والنصارى[1] هو الذي أبعد كل شيء يتعلق بالآخرة، وجعل الاهتمام الكبير في جل كتب اليهود منصب على سرد العذاب المستمر الذي وقع على اليهود في أطوارهم التاريخية وكيفية خلاصهم في الدنيا من هذا العذاب، أما الآخرة وما فيها فلا مطلب لهم فيها ولا داعي لذكرها عندهم يحدثنا بذلك الأستاذ عبد الكريم الخطيب ويقول: «لم يشغل اليهود كثيراً بأمر الآخرة ... بسبب ظروفهم القاسية التي شغلتهم عن التطلع إلى ما وراء الواقع الذي يطل عليهم دائماً بأنياب ومخالب تمزق الأمن وتشرد السلام من قلوبهم، لهذا كانت آمالهم وأحلامهم متجهة أبداً إلى الخلاص من النفي والتشريد والعودة إلى «أرض الميعاد...» أما الحياة الآخرة فما ذكر عنها في شريعتهم فهو عبارة عن كلمات مقتضبة على رغم ما في التوراة من إسهاب مغرق في شرح التفاصيل للبديهيات.[2]

والأستاذ الخطيب يريد أن يفهم القارئ بأن اليهود لا يضعون الأمور في نصابها بل يخالفون ما هو معقول، فالأمر الذي لا يراد الإطناب فيه يطنبون، والذي يراد ذلك فيه يقصرون ويوجزون، وإن كان هؤلاء كما رأيناهم في أسفارهم خاصة سفر التكوين يتحدثون عن بدء الحياة على الأرض -كما أشرنا آنفاً- فإننا كنا نتوقع منهم

(١) انظر: ما كتبه موريس بوكاي عن تحريف التوراة في كتابه «القرآن والتوراة والانجيل ص ٢٦-٣١.

(٢) قضية الألوهية بين الفلسفة والدين والله.. والإنسان ص٣٧٤ -٣٧٧ دار الفكر العربي.

أن يضموا إلى كتابهم المقدس سفراً كاملاً عن نهاية الحياة وآخرتها، وهذا السفر لا يقل في الشرح والإيضاح عما في سفر التكوين «إذ ليس أمر البدء أعظم شأناً من النهاية، وما وراء النهاية وليس ميلاد الإنسان أكثر أهمية من موته وما بعد موته».

ولكن كتاب اليهود المقدس لم يقف كثيراً عند الحياة الآخرة اللهم إلا بعض اللمحات الخاطفة في أسفار الأنبياء وهي مجملة لا تكفي إرواء ظمأ الإنسان وتعطشه إلى معرفة ما يريد معرفته عن المصير الأخروي والحياة الأبدية الجديدة.

٣- أما الحديث عن اليوم الآخر عند النصارى:

فإننا لم نجد النصارى أحسن حالاً من اليهود في ذكر ما يتعلق بالآخرة والسبب أنهم لكتب اليهود تابعون، ولأسفارهم وشريعتهم محتضنون، وعلى دربهم في التحريف سائرون، ودليل ذلك أن عقيدة مثل عقيدة اليوم الآخر لابد أن يكون نبي الله عيسى عليه السلام بها بلغ وأفاض في شرح تفاصيلها وما يتعلق بها، لكن الملاحظ أن العهد الجديد عندهم كما يقول أحد الباحثين[1] «لم يقل إلا قليلاً عن تفاصيل الآخرة وما فيها أو بمعنى آخر لم تذكر الأناجيل الأربعة إلا تقريرات إجمالية عن قرب وقوع القيامة للحساب والجزاء، وأن الذي سيقوم بهذا العمل هو المسيح نفسه؛ لأنه هو إله العالمين عندهم» (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) ولم ينقل عن المسيح في هذه الأناجيل هذا الزعم الباطل بألوهيته، كما لم ترو عنه الأناجيل إلا بعض كلمات قليلة تعبر عن أهوال القيامة والتعذيب والتنكيل كما يقول صاحب كتاب (قضية الألوهية بين الفلسفة والدين) ولكن الذين حملوا دعوته من بعده أو الذين ادعو ذلك وسمعوا هذه الكلمات صوراً مجسدة لأدوات التعذيب كما صنعوا ملاحم تتقاتل فيها زبانية جهنم على تقاذف الناس في أتون النار وإنضاجهم على لهيبها[2].

---

(١) زميلنا د/ فرج الله عبد الله في بحثه اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، راجع ص٤٣١ - ٤٣٢ دار الوفاء للطباعة والنشر.

(٢) قضية الإلوهية بين الفلسفة والدين (الله ... والإنسان) ص٢٧٨ عبد الكريم الخطيب.

والذي يهمنا في هذا المقام هو ما ورد عن المسيح عليه السلام ؛ لأنه هو صاحب الدعوة ومؤسسها ، أما غيره فقد أضافوا وحذفوا من غير شك ، والمسيح لم يذكر عنه إلا قليل عن الآخرة والقيامة وهذا القليل المذكور لا يصلح أن يقتبس منه كما يزعم المستشرقون ، كما لا يعطي إجابة شافية كافية لمن يقف أمام كتب النصارى وإخوانهم اليهود من قبلهم ليسأل عن مصيره الأخروي وما يطرأ عليه بعد الموت.

٤- الإسلام غني بما فيه من تعاليم عن الآخرة:

وإذا ما ذهب المرء إلى الإسلام فإنه سيجد أجوبة ثرية واضحة جلية لا غموض فيها ولا لبس لكل تساؤل يطرأ على ذهنه عن الآخرة وما فيها ، بل سيرى أدلة عقلية ونقلية وأمثلة واقعية وردوداً على الملحدين والكافرين والمنكرين لأي أمر من أمور الآخرة وما بعد الموت ، وهذا مفقود تماماً عند اليهود والنصارى الذين قيل إننا أخذنا منهم عقيدتنا في اليوم الآخر.

فلنذكر أنموذجاً واحداً من بين آلاف النماذج القرآنية التي تثبت وقوع البعث والقيامة وترد على المنكرين والملحدين في كل زمن وفي كل حين ، وغيرنا إلى مثل هذا الأنموذج من المفتقرين قال جل شأنه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1] والمتأمل لهذا المقطع من سورة يس يشعر بمدى ثرائه بالمفاهيم المتنوعة والأجوبة المختلفة التي تقنع كل أصناف المتشككين في البعث والإعادة ، فالجميع إلى الله يرجع لماذا؟

(١) سورة يسن ، الآيات : ٧٨-٨٣.

لأنه وحده بيده ملكوت كل شيء ومن كان كذلك فهو وحده القادر على الجمع بعد التفريق والقيامة بعد الإماتة وكل ذلك عليه هين، والدليل أنه يخرج أمام أعينكم الضد من الضد، يخرج من الشجر الأخضر المبلل بالماء ناراً، والذي يفعل ذلك يستطيع أن يبعث الخلق.[1]

والعقل يقبل ذلك ولا يرفضه ويقتنع به ويرتضيه، ولو بحث عنه في غير الإسلام ما وجده؛ لذلك؛ يقول الشيخ محمد الغزالي متعجباً مما آثاره المستشرقون من مزاعم حول ما ذكره الإسلام من أمور أخروية وقولهم بأنها أخذت عن اليهودية والنصرانية فيرد ويقول: «إن الدين الذي أتى به محمد ﷺ أوسع أقطاراً وأرحب آفاقاً مما سبقه، فكيف يتصور أن يأخذ الغني من الفقير وأن يستعين القادر بالعاجز، إن التوارة لم تتحدث عن الآخرة أعني الصحف التي بين يدي اليهود الآن، فهل ما حفل به الإسلام من حديث عن الآخرة وعن الجنات وما فيها من مثوبة. والنيران وما فيها من عقوبة مأخوذ من كتبهم -ومن كتب النصارى- إن هذا لشيء عجاب!»[2]

ونشارك الشيخ الغزالي في تعجبه ونؤيده في كل ما ذهب إليه ونؤكد على القول بأن ما حفل به الإسلام من حديث عن موت الإنسان ودخوله إلى عالم البرزخ وبعثه وحسابه وصيرورته إما إلى الجنات أو النيران قد وجد في الإسلام غير مقتبس من كتب أهل الأديان، بل هو بوحي من الله الواحد العلام، وفي ضوء هذا التأكيد بعد البيان السابق المفيد وإثبات أن الإسلام أغنى من غيره في هذه التعاليم، **يمكننا الآن الرد على ما ذهب إليه (هنري ماسيه):**

في قوله السابق يذكر هذا الرجل هنري ماسيه أن الإسلام أخذ مفهوم عذاب القبر - أو البرزخ - من النصرانية ومفهوم الجنة وأنهارها من اليهودية والمسيحية، وما ذهب إليه (كرادي فو) من أن الرسول استعار كلمة جهنم من العبرية -اليهودية-

(١) راجع تفسير ابن كثير، ج٣ ص ٥٨٥.

(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة، ص٥٧.

وأقــول :

كذب الرجلان وما صدقا لما يلي :

أولاً : إن التصور الإسلامي لعذاب القبر ونعيمه أو للبرزخ يخالف التصور النصراني ؛

أ- فالنصارى يعتقدون بعد المسيح عليه السلام أن الإنسان إذا مات فإن سبب موته مرتبط بخطيئة آدم -عليه السلام- ومترتب عليها ، ولولا ذلك ما وجد موت للإنسان ، نص على ذلك في الإصحاح الخامس عشر من رسالة كرنثوس الأولى وفيها ، «أما شوكة الموت فهى الخطية وقوة الخطية هي الناموس»[1]

«ولولا الخطية لم يكن للموت قوة الإيذاء»[2] ، والموت عندهم قسمان موت جسدي الذي هو مفارقة الحياة ، وموت روحي وهو عبارة عن انفصال النفس عن الله.[3]

والذي تقع عليه الخطية يموت ويدخل القبر أو عالم البرزخ[4] هو الجسد ، أما الأرواح **فإن الأرثوذكس - إحدى طوائف المسيحية**- يقولون : إن الأرواح الطيبة تصعد إلى الفردوس مع المسيح.. وهذا هو جزء من نعيمها : والشريرة تتعذب حين اجتماعها مع أجسادها يوم القيامة. ويوافق على ذلك **البروتستانت** -طائفة أخرى- **أما الكاثوليك وهي الطائفة الثالثة في المسيحية** فترى أن هناك محكمة خاصة للأفراد النصارى بعد الموت يؤدي الأفراد أمامها حساباً عما قدموا في الحياة ، ويطلق عليها الدينونة الخاصة. فإن كانت الأرواح صالحة في أعمالها صعدت إلى السماء وإن كانت طالحة نزلت إلى ما يسمى بالمطهر فتقضي فيه

(١) رسالة كرثنوس الأولى إصحاح ١٥/٥٦.

(٢) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ، وليم إدي ، ج٦ ص ٣٠٤ نشر مجمع الكنائس في الشرق الأدنى - بيروت.

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص٩٢٩ ، واليوم الآخر ص٧١.

(٤) هو الحاجز بين شيئين ، أعني الدنيا والآخرة ويطلق على القبر - راجع التعريفات للسيد الجرجاني ص٣٨ ط الحلبي.

أياماً يحددها الله بعدله -كما يقولون- فتفي جميع ديونها وتكفر عن آثامها ثم تدخل إلى السماء، ويمكن عندهم تخفيف العذاب عن النفوس في المطهر بالدعاء وتقديم الطقوس الكنسية والصلوات[1].

ويفهم من هذا أن الكاثوليك يقولون بمحاكمة للنفس الشريرة بعد الموت مباشرة بينما غيرهم من البروتستانت والأرثوذكس قالوا إن ذلك سيكون يوم القيامة.

ب- والتصور **الإسلامي** يخالف كل الطوائف المسيحية في ذلك فالإسلام يرى أن دخول القبر أو عالم البرزخ يسبقه موت، ولكن هذا الموت غير مرتبط بخطيئة آدم إذ إن آدم أخطأ وعصى لكن الله تعالى قد تاب عليه وأناب قال تعالى ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[2] وعلى ذلك فلا دخل لأدم في موت البشر ولا يوجد تعليل لهذا الموت سوى أن الله وحده هو المستحق للبقاء لا غير قال عز وجل: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[3] ومن يرى غير ذلك فقد خالف الفطرة وسنن الله في الكون، وهذا هو ما عليه النصارى وحدهم.

أما العذاب والنعيم بعد الموت فإن الإسلام يرى أن ذلك يقع للشخص بعد أن ترد إليه روحه في قبره، ويسأله ملكان يقال لأحدهما منكر والآخر نكير، ويترتب على ذلك العذاب أو النعيم، وقد وردت آيات وفيرة تثبت الإحياء بعد الموت لهذا السؤال وأحاديث متواترة كما يقول ابن القيم رحمه الله[4] ومن الآيات قول الله تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ

(١) راجع شرح التعليم المسيحي - العقائد الإلهية، ص٢٣١ -٢٣٧، ج١ ، واليوم الآخر، ص٩٤-٩٥.
(٢) سورة البقرة آية ٣٧.
(٣) سورة الرحمن آية ٢٦-٢٧.
(٤) الروح لابن القيم ص١٢٧.

إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾[1] ومن الأحاديث ما رواه البخاري بسنده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه -حتى إنه ليسمع قرع نعالهم- أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً... وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، فيضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحةً يسمعها من يليه غير الثقلين»[2]

ويفهم من هذا أن الإحياء بعد الإماتة في عالم البرزخ ثابتة من غير شك، وأن سؤال الملكين وما يترتب على ذلك وارد حقيقة **وهذا الأمر غير موجود عند النصارى كما رأينا، فالأرثوذكس** والبروتسانت يرون أن الإنسان بعد موته إن صعدت روحه إلى السماء مع الرب فهي في قسط من النعيم، وإن كانت شريرة فلا تستطيع الصعود بل تبقى إلى أن تجتمع مع الجسد يوم القيامة وتعذب، **لكن الكاثوليك** قالوا بعذابها مخالفين البروتستانت والأرثوذكس، ومع ذلك فهم لا يلتقون مع التصور الإسلامي؛ لأنهم يقولون بما يسمى بالمحمكة والمطهر، والإسلام لم يقل بمحكمة أو مطهر، بل قال بسؤال ملكين، فلو نقل الإسلام مسألة نعيم القبر أو عذابه عن النصارى **كما** يقول «هنري ماسيه» لنقل مسألة المحكمة والمطهر كما هي عند الكاثوليك ولو كان تابعاً لهؤلاء لما قال بسؤال منكر ونكير للمؤمن والكافر ولأبقى الحال على ما هو عليه كما هو الحال **عند** البروتستانت والأرثوذكس، **ولكن** ما نراه في **الإسلام** من سؤال وجواب وإحياء في القبر بعد الموت ونعيم وعذاب إلى يوم الحشر العظيم ليؤكد لكل قارئ عاقل

(١) سورة غافر، الآية: ١١. وانظر: التفسير الكبير للرازي، ج٢٧ ص٣٩

(٢) صحيح البخاري، ج٣ ص١٨٣، ١٨٦.

أن هذا الدين له ذاتيته المستقلة وتعاليمه الخاصة النقية، ولم ينقل عن الآخرين شيئاً مما يتعلق بالحياة البرزخية كما يزعم هذا الأفاك الآثيم بل هو وحي السماء.

ثانياً: التصور اليهودي والنصراني للجنة والنار:

وما قيل في مسألة عذاب القبر ونعيمه في الإسلام يقال مثله في مسألة مفهوم الجنة والنار، فالظن الذي ذهب إليه (ماسيه) (وكرادي فو) من أن الإسلام استعار مفهوم الجنة وأنهارها وجهنم من اليهودية والمسيحية ظن كله إثم ومخالف لما هو واقع.

أ- **فاليهودية والمسيحية** ليس فيهما من أوصاف الجنة مثلما ورد في الإسلام، وقد أشرنا من قبل إلى مدى فقر الديانتين في مسائل الآخرة ومنها الحديث عن الجنة، وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة جنة أنها الفردوس الأصلي الذي رتبه الله للإنسان قبل سقوطه -يقصد آدم عليه السلام قبل خطيئته- ووضع في وسطه شجرة الحياة وأطلقت الكلمة على كل بستان في قصور الملوك.[1]

وورد أيضاً تحت كلمة جنات أنها بساتين معدة للانشراح واللذات وفيها جنات الملِك سليمان وفيها سواقي وينابيع وكانت هذه الجنات مصونة لكي لا يدخلها الغريب.[2]

ويلاحظ القارئ هنا أن قاموس الكتاب المقدس لم يشر بأي وجه إلى أن المقصود بالجنة هو جنة الآخرة تلك التي يتنعم فيها المتنعمون ويتمتع فيها الصالحون، بل أشار صراحة إلى أن المقصود بالجنة هو البستان الذي يملكه الملوك وفيه ما يعد للانشراح واللذات، وكذلك جنات سليمان أي بساتينه وفيها سواقي وينابيع،

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٢٧٥ تأليف مجموعة من اللاهوتيين، ج١ بيروت

(٢) نفسه ص٢٧٥، ٢٧٦، وراجع سفر الجامعة إصحاح ٢/٥، وسفر العدد إصحاح ٦/٢٤، ونشيد الإنشاد إصحاح ٤/١٣.

وهذه الجنات على حسب منطق القاموس لا تطلق إلا على بساتين الدنيا لا الآخرة، وما فعل ذلك كُتّاب القاموس، إلا لأن العهد القديم عند اليهود لم يتحدث عن الجنة ونعيمها إلا حديثاً مقتضباً نجده في بعض أسفار الأنبياء،[1] وإلى ذلك يشير ابن كمونة فيقول: «إن العهد القديم عند الحديث عن الجنة لم يشر من قريب أو بعيد إلى أنها المكان الذي يثاب فيه الصالحون يوم القيامة، واليهود يعترفون بذلك ويعتبرون خلو التوراة من الحديث عن الثواب والعقاب لا يضره»[2]

ب- **وبما أن النصارى تابعون لليهود في كتبهم** فالأمر عندهم ليس فيه كثير اختلاف؛ لذلك لا يشيرون إلى الجنة ونعيمها الحسي على أنه حقيقة في الآخرة وإن وردت بعض كلمات في بعض الأناجيل والرسائل التي يضمها العهد الجديد تتحدث عن الطعام والشراب والقصور والزواج في الآخرة فإن علماء النصارى يؤلونها إلى مجازات أخرى غير كونها حقيقية حسية، ويقولون: إن النعيم الكامل متمثل في الحياة الأبدية وهي لا تكون إلا بمشاهدة وجه الله -المسيح عندهم- ومشاهدته تملأ النفوس بالسعادة والهناء والغبطة وهذا هو النعيم المقيم.[3]

جـ- **الجنة كما صورها الإسلام**: وإذا كان ما ذكرناه هو مفهوم الجنة ونعيمها في التصور اليهودي والنصراني فجدير أن نقف على مفهوم الجنة في التصور الإسلامي والذي يقول المستشرقون إن كل ما ذكره الإسلام عن الجنة مأخوذ عن هاتين الديانتين.

والقارئ يكتشف مدى كذب المستشرقين في ادعائهم وهو يقرأ عن الجنة كما صورها الإسلام، ذلك لأن حديث الإسلام عن الجنة ليس حديثاً مقتضباً غير شاف ولا كاف لأي سائل أو سامع كما هو الحال في كتاب اليهود والنصارى

---

(١) باستثناء التلمود الذي هو في الحق غير منتسب لموسى وإن كان البعض من اليهود يظن أن موسى كتبه وهو ظن خاطئ ولذلك اجتنبنا النقل عنه.

(٢) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة، ص٤٠-٤٢ نقلاً عن اليوم الآخر، ص٢٨٤.

(٣) انظر علم اللاهوت، ج٢ ص١٦٤، وشرح التعليم المسيحي، ج١ ص٢٣٣، واليوم الآخر، ص ٢٧٨، ٢٧٩.

المقدس بل هو حديث ممتع شائق يعطي إجابة كافية وشافية لكل سؤال يدور في خلد القارئ أو السامع عن الجنة ويصفها وصفاً دقيقاً بعد بيان أسمائها وأعدادها، الأمر الذي يجعل القارئ في شوق إلى رؤيتها والاستمتاع بنعيمها بعد التصوير الإسلامي لها، ولنرى ماذا قال الإسلام عنها لنقف على مدى كذب المستشرقين.

أولاً: ١- الجنة حقيقة واقعة في الآخرة:

يثبت الإسلام أن الجنة حقيقة واقعة بكل أوصافها في الآخرة وهي معدة ومخلوقة للمتقين والمؤمنين، وليس مكانها الأرض ولا الدنيا كما أشار قاموس الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى، بل هي في الآخرة؛ لذلك دعا الحق عز وجل عباده المتقين بالإسراع إليها وشد الرحال وعدم التأني أو التأخر عنها لأنها هي دار الأجر والثواب قال عز وجل: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[1]

وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[2]

والآيتان فيهما إشارة واضحة إلى مدى الغاية في السعة لهذه الجنة الواقعة حقيقة يوم القيامة، وعلى المؤمن أن يسلم بذلك كما ورد في الشرع إلا أن بعضاً من أهل الكتاب أراد أن يزعزع إيمان المؤمنين بذلك فألقى ببعض التساؤلات المريبة حول ما ذكر في الآيتين الكريمتين، **يقول ابن كثير رحمه الله:** «وقد روينا في مسند الإمام أحمد بن حنبل أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ أنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال النبي ﷺ «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار»»[3].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٣) تفسير ابن كثير، ج١ ص ٣٩٤.

ونفس السؤال طرح على سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جماعة من اليهود فأجاب مثلما أجاب رسول الله ﷺ قائلاً: أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار، فقالوا لقد نزعت مثلها من التوراة.[1]

وهذا يبين أن التوراة الحالية وقع فيها تحريف وتغيير وتبديل، وتم طمس ونزع ما جاء به الوحي عن الجنة والنار، ولما جاء الإسلام وضع الأمور في نصابها ورد ما طمسه اليهود عن معالم الجنة والنار، فكيف يقال قد أخذ عن التوراة، والتوراة مفقود فيها مثل هذا النص ومعلوم أن فاقد الشيء لا يعطيه.

٢- أسماء الجنة:

ومما يفارق به الإسلام ما ورد في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى كثرة أسماء الجنات، فاليهودية والنصرانية لم تذكرا إلا اسم الفردوس أو الحياة الأبدية، ويعني بالفردوس -كما أسلفنا الذكر- البساتين التي توجد في قصور الملوك في الدنيا.

بينما الإسلام يذكر أن من أسماء الجنة الفردوس، ولكن لا يعني بساتين الدنيا، كما يذكر أسماء أخرى مثل جنة المأوى، وجنة عدن، ودار السلام، ودار المقامة، وجنات النعيم، والمقام الأمين، ومقعد صدق، فتلك كلها أسماء لها باعتبار صفاتها ومسماها واحد[2].

يعني أن هذه الأسماء ليست لتميز جنة عن أخرى ولكن للجنات أجمع.[3] وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى من غير شك.

---

(١) نفسه.

(٢) حادي الأرواح لابن القيم، ص٦٥.

(٣) التذكرة للقرطبي، ج٢ ص٥٩٧.

٣- أعداد الجنة:

ولما كانت الجنة اسماً لدار الخلد وهي مشتملة على جنات بداخلها كثيرة فإن القرطبي قد أشار إلى أن الله تعالى أتى بذكر أعداد الجنات فلم يثبت إلا أربعاً[١].

وهذه الأربع تم ذكرها في سورة الرحمن مرتبة حسب استحقاق العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنات.[٢]

يقول عز وجل: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[٣] ثم أتى بنعت لهاتين الجنتين فقال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾[٤] وعدد صفاتهما أيضاً، يقول ابن كثير: جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين[٥].

ودلت السنة المطهرة على هذا العدد أيضاً ولم تزد عليه شيئاً، فقد روى مسلم بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءُ الكبْرياء على وجهه في جنة عدن»[٦].

إذاً فالعدد أربع لا غير بنص الكتاب والسنة، ومعلوم أن الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى لم يذكر هذه الأعداد من الجنات التابعة لجنة، الخلد وهذا يعني استقلالية الإسلام عن غيره وكذب المستشرقين المفترين.

٤- أبواب الجنة:

وفي حديثه عن الجنة ذكر الإسلام أبواب الجنة وأعدادها وهذا ما لم يذكر بتفصيل في الأديان السابقة كما ذكر في الإسلام

---

(١) المرجع السابق، ج٢ ص٥٩٧.
(٢) الكشاف للزمخشري، ج١ ص٢٥٧.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.
(٤) سورة الرحمن، الآية: ٦٢.
(٥) تفسير ابن، كثير ج٤ ص٢٨٢.
(٦) صحيح مسلم، ج١ ص١٦٣، حديث رقم ٢٩٦.

قال تبارك اسمه في سورة الزمر: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾[1].

وقال عز وجل في سورة ص: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾[2]. والأبواب المفتحة في الجنة دليل على التكريم والحفاوة من الملائكة الخزنة الموكلين بها المؤتمنين عليها[3]: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾.[4]

وقد أشار العلماء إلى أن أبواب الجنة ثمانية[5] ويدل على ذلك ما جاء في صحيح مسلم بسنده أن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ» أو فيسبغ» الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**».[6]

٥- درجات الجنة:

ولم يغفل الإسلام ذكراً أن للجنة درجات يترقى عليها المؤمنون على حسب أعمالهم قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[7] ويقول جل شأنه: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾.[8]

---

(١) سورة الزمر، من الآية: ٧٣.

(٢) سورة ص، الآية: ٤٩، ٥٠.

(٣) اليوم الآخر، ص٢٣٨، ٢٣٩.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٥) راجع التذكرة للقرطبي، ج٢ ص ٥٤٨

(٦) صحيح مسلم، ج١ ص ٢١٠ حديث رقم ٢٣٤.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٢-٤.

(٨) سورة الإسراء، الآية: ٢١.

ويعني بالدرجات المنازل التي ينزلها الله لأوليائه في الجنة، فكما أنهم يتفاوتون في الأعمال الصالحة في الدنيا فإنهم سيتفاوقون في منازلهم يوم القيامة في الجنة.

وقد جاء في السنة أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.. وإن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما يرى الكوكب الغابر في أفق السماء،[1] وأن الفردوس أعلى درجة فإذا سأل الإنسان ربه فليسأله الفردوس.

كما أن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة.[2] وهذه الدرجات والمنازل في الجنة بهذا التفصيل الواضح تفرد بذكرها الإسلام دون غيره من الأديان مما يبين أيضاً فساد مقولة الاقتباس من غيره كما زعم المفترون.

ثانياً : لقطات أخرى عن الجنة وحال ساكنيها :

وبالإضافة إلى ماسبق ذكره ذكر القرآن الكريم أوصافاً إجمالية عما في الجنة تجعل المتقين في طلب دائم إليها ومعايشة غير منقطعة مع الوسائل الصالحة الموصلة إليها. ولننظر ونتأمل تلك اللقطات التي صورها القرآن الكريم

١ - الأشربة في الجنة :

ففي سورة محمد قال ـ عز وجل ـ عن هذه الأشربة : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص ٣٦.

(٢) صحيح مسلم ج١ ص ١٧٥ حديث رقم ٣١١.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٥.

ومثل الجنة -أي نعتها - فيها أنهار من ماءٍ غير آسن أي صاف غير متغير لا كدر فيه، - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه- أي في غاية البياض والحلاوة والدسومة، وأنهار من خمر لذةٍ للشاربين أي ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا، فهي حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل، -وأنهار من عسل مصفى- أي في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح[1].

٢- **أصناف أخرى**: من الشراب تقدم لأهل الجنة الأبرار أشار الحق إليها في سورة الإنسان فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾[2].

وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذة في الجنة -يفجرونها تفجيراً- أي يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا من قصورهم.

وفي سورة المطففين يقو ل تبارك اسمه: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾[3] والرحيق اسم من أسماء الخمر يخلط بالمسك ويختم تكريماً له بالصيانة، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه[4].

٣- **أما عن طعام أهل الجنة**: فقد جاء ذكره بجوار الفاكهة في قوله تعالى: ﴿وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٤ ص ١٧٨، ١٧٩.

(٢) سورة الإنسان، آية ٥.

(٣) سورة المطففين، آية ٢٥-٢٨.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج٤ ص ٤٩٨، وحادي الأرواح، ص١٢٩، ١٣٠.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٢٠-٢١.

وقد وصف النبي ﷺ هذا الطير فقال: «إن طير الجنة كأمثال البُخت يرعى في شجر الجنة. فقال أبو بكر يا رسول الله، إن هذه لطير ناعمة، فقال: أكلها أنعم منها. قالها ثلاثاً وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها»[1] ومعنى ناعمة أي سِمان مترفة.

٤- **حمل الطعام والشراب في الجنة**: أما عمن يحملون الطعام والشراب للمنعمين في الجنة فلم يغفل القرآن الكريم ذكرهم حيث بين ذلك في قوله تعالى من سورة الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾[2].

وفي سورة الإنسان يقول تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾[3].

أي يطوف عليهم غلمان أو خدم بأواني الطعام وهي من فضة، وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم، وهذه الأكواب وإن كانت مصنوعة من فضة إلا أنها مع هذا شفافة يُرى ما في باطنها من ظاهرها وهي مما لا نظير له في الدنيا -وقدروها تقديراً- أي على قدر ريهم لا تزيد عنه ولا تنقص .. أو على قدر أكف الخادم وهو لا ينافي تقديرها في القدر والري[4].

٥- **الزواج واللباس والمسكن في الجنة**: وهذا لون آخر من ألوان النعيم قدره الله لعباده الصالحين حيث جعل لهم أزواجاً من الحور العين مطهرة من الحيض والاستحاضة وجميع الأقذار يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥١﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٢﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾[5].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج٤ ص ٢٩٢، وتحفة الأحوذي، ج٧ ص٢٥٠.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ١٧-١٨.
(٣) سورة الإنسان، الآية: ١٥-١٦.
(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤٦٦.
(٥) سورة الدخان، الآية: ٥١-٥٤.

ووصفهم بقوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾[1] أي مقصورات على أزواجهن ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾[2] وزاد في الوصف: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[3].

وجاء **في السنة المطهرة** أن المرأة من نساء أهل الجنة لُيرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة من الحرير حتى يرى مُخها[4].

وسميت حور عين لبياضها كما في لغة العرب. قال مجاهد: الحور العين التي يحار فيهن الطرف، بادياً مُخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن من رقة الجلد وصفاء اللون[5]، والجميع يسكن في مساكن راقية وقد وصفها القرآن بأنها مساكن طيبة قال سبحانه: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[6] وأخبر المصطفى ﷺ عن هذه المساكن ذاكراً نعتها في الجنة قائلاً:

«إن في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال لمن هي يا نبي الله قال: لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله والناس نيام)[7].

٦- **التزاور بين أهل الجنة:** ثم بين القرآن الكريم أن في الجنة تزاوراً بين أصحابها وذكراً للأحوال السابقة في الدنيا فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾[8] وللتزاور بين أهل الجنة وتبادل الحديث بهذه الطريقة وتذكر الماضي دليل على مدى فرحتهم برحمة ربهم بهم وإعطائهم الجزاء الأوفى على أعمالهم بدخولهم جنته.

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٧٢.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٧٤.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٥٨.
(٤) تفسير ابن كثير ج٤ ص٢٨٤.
(٥) حادي الأرواح ص١٥٠.
(٦) سورة الصف، الآية: ١٢.
(٧) صحيح مسلم ج٢ ص٥٣٤.
(٨) سورة الطور، الآيات: ٢٤-٢٨.

٧- **أكبر أنواع النعيم في الجنة**: وفوق هذا وذلك يتمتع أصحاب الجنة بأكبر وأجمل أنواع النعيم الذي يمن الله به على عباده المؤمنين ويتمثل هذا في رؤية الرحمن جل وعلا فتبيض وجوههم وتطمئن نفوسهم لرؤية الحق تبارك وتعالى، تلك الرؤية التي تظاهرت أدلة الكتاب والسنة على ثبوتها.

قال تبارك اسمه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[1] أي حسنة بهية مشرقة مسرورة بسبب رؤيتها لمالك الملك وملك الملوك.

وجاء في السنة المطهرة أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه كذلك[2] -نسأل الله أن يجعلنا منهم-

وبعد هذا العرض أقول:

بهذا التوضيح والتفصيل جاء الحديث عن الجنة في الإسلام دين الله في الأرض وهو يغاير جملة وتفصيلاً حديث الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى عن الجنة، فالفروق كما رأينا واضحة وجلية، وقد أسهبنا في ذكر هذه التفاصيل المتعلقة بالجنة في التصور الإسلامي لنطلع المستشرقين الحاقدين ومن سار على نهجهم على مدى الثراء الإسلامي في ذكر الجنة ونعيمها، ونبين أن الإسلام دين موحى به من عند الله ولم يطلع محمد ﷺ على كتب السابقين ليأخذ منها ما يؤسس به دينه أو يقوي به حججه، خاصة فيما يتعلق بالحديث عن الجنة التي قال هؤلاء إن كل ما ذكره الإسلام أخذ عن كتب السابقين يهوداً أو نصارى، وها هي كتب اليهود والنصارى خاوية على عروشها ليس فيها هذا التوضيح والتفصيل عن الجنان، وكل ما ذكر في هذا الشأن كما علمنا

(١) سورة القيامة، الآية: ٢٢-٣٢.

(٢) صحيح مسلم ج١ ص ١٦٤ كتاب الإيمان حديث رقم ٢٩٩.

حديث مقتضب غير كاف ولا شاف، وهي في هذا المجال فقيرة جداً والإسلام غني جداً ولا يعقل أن يسرق الغني من الفقير أو يتحامل الصحيح على المريض - إن صح التعبير-.

أمر غريب:

والغريب أن المستشرقين بدلاً من أن يعترفوا بهذا الخطأ المنهجي الذي وقعوا فيه بعدما رأوا مدى استقلالية الإسلام في حديثه عن الجنة ومدى التفاصيل المذكورة عنها والمؤكدة على هذه الاستقلالية ذهبوا إلى القول بأن فكرة الإسلام عن الجنة جاءت مادية حسية لإغواء الآخرين بقبوله -كما نقلنا عنهم آنفاً-

وأقول لهؤلاء المستشرقين:

من الذي أعلمكم أن الإسلام فكرته عن الجنة مادية فقط، إن هذا الادعاء خال عن الحقيقة، ولو تأملتم ما ذكره الإسلام ونقلناه أنفاً لو جدتم أنه قد جمع بين ما هو مادي حسي وما هو روحي معنوي، ولم يغفل هذا الجانب الأخير أبداً.

وقد تمثل هذا الجانب -كما ذكرنا- في مدى تمتع الروح بجوار النظر برؤية الله تبارك وتعالى كما في قوله جل وعلا: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1]

فالزيادة كما يقول المفسرون هي النظر إلى وجه الله الكريم، فإنها زيادة أعظم من جميع ما أعطوه من قصور وأزواج وأطعمة وأشربة إلخ[2]، بالإضافة إلى الفوز الأبدي برضوان الله خالق الخلق وملك الملوك قال جل شأنه: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3] أي رضى الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم؛ لأنه رضا لا يعقبه سخط أبداً[4] وهذا مما يريح النفس ويجعلها في متعة دائمة. قال عز وجل: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[5]

(١) سورة يونس آية ٢٦.
(٢) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٤٢٧.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٢.
(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٨٢.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

فهل يقال بعد ذلك إن الإسلام فكرته عن الجنة جاءت مادية فحسب؟ كبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

جهنم أنتم أحق بها وأهلها:

وبقي في النهاية أن أشير إلى ما زعمه المستشرقون من قول بأن الإسلام كما أخذ مفهوم الجنة عن اليهودية والنصرانية كذلك أخذ مفهوم جهنم عن العبرية -اليهودية- على حد تعبير (كرادي فو) -السابق ذكره-

ولهذا وأمثاله أختم الحديث وأرد بما يلي:

أولاً: ثبت أن حديث اليهودية عن جهنم حديث مقتضب كما هو الحال في مسألة الجنة والأمور الأخروية كلها، وما ورد في القرآن الكريم عن ذكر جهنم وأسمائها وعذابها بألوانه المختلفة ومن أعظمه احتجاب المجرمين عن رؤية ربهم يوم القيامة لدليل كاف على مدى استقلالية الإسلام عن غيره؛ لأن اليهودية والنصرانية لا توجد بهما هذه التفاصيل.

وثانياً: أننا لسنا في حاجة إلى استعارة اسم جهنم من عندكم، فأنتم وأمثالكم أولى بها وأحق، وما ذكر عنها في كتاب ربنا يكفي أنه يذكرنا بما يقع على كل مفتر مجرم كاذب يُلبس الحق بالباطل ويزعم أنه على حق وهو في الحق على غير الحق.

والحق أسأل أن يبعدنا عن المجرمين ويحشرنا في زمرة الصالحين ويحرم أجسادنا على النار ويدخلنا دار المتقين ويمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم إنه قريب مجيب عليم.